الإرشاد الرسولي التابع للسينودس

رجاءٌ جديدٌ للبنان

الفصل الأول

الحالة الراهنة للكنيسة الكاثوليكية في لبنان

الوحدة والتنوّع **العلاقات مع مؤمني الديانات التوحيديّة ولاسيّما المسلمين**

الكنيسة الكاثوليكية في لبنان على أثر الأحداث الأخيرة **العلمنة والعالم المعاصر**

مع الكنائس والجماعات الكنسيّة الأخرى في لبنان **المسيحيّون في المجتمع المدنيّ**

الوحدة والتنوّع

أبرز خصائص الكنيسة الكاثوليكيّة في لبنان أنّها واحدةٌ ومتعدّدةٌ في آنٍ معًا. فهي لا تتكوّن من أبرشيّات متجاورة بالمكان بقدر ما تتكوّن من كنائسَ متداخلة، بطريركيّةٍ ذات حقّ خاصّ ونيابةٍ رسوليّة لاتينيّة، ومتّحدةٍ كلّها بالإيمان عينه والأسرار عينها والشركة الكاملة في الإيمان والمحبة مع أسقف رومة، خليفة بطرس الرسول.

إنّكم تعرفون روابط المودّة التي تشدّني إلى هذه "الأرض الحبيبة"، وقد سنحت لي الفرصة للتذكير بذلك في مناسبات عدّة وبخاصّة منذ بداية حبريّتي (را: يوحنا بولس الثاني: **الرسالة الأولى** (1978/10/17) AAS 70 (1978), p. 925؛ **خطاب الى الجسم الدبلوماسي** (1979/1/12)، 6: AAS 71 (1979), pp. 355-357؛ **خطاب الى الجمعيّة العامّة الرابعة والثلاثين لهيئة الأمم المتحدّة** (1979/10/2)، 10: AAS 71 (1979), pp. 1150-1151؛ **خطاب الى المجمع المقدّس** (1981/12/22)، 10: AAS 74 (1982), pp 304-305.). وجميعُ المؤمنين الكاثوليك يشعرون أيضًا بما يشدّهم شدًّا وثيقًا إلى إخوتهم في هذا البلد العزيز على قلبهم، بصفتهم تلاميذ الربّ، وإلى كلّ الأرض التي وطئتها قدما السيّد المسيح وجعلتها أرضًا مقدّسة.

إنّ تنوّع الكنيسة الكاثوليكيّة في لبنان ليس مجرّد تنوّعٍ قانونيّ. بل هو نتيجة تاريخٍ طويل خاصٍّ بكلٍّ من تلك التقاليد الروحيّة. لذلك تحافظ كلّ من الكنائس البطريركيّة، التي ينتسب معظمُها إلى كنيسة أنطاكية، على تراثٍ ثقافيٍّ خاصٍّ وعلى تقاليد كنسيّة وليترجيّة ولاهوتيّة وروحيّة وتنظيميّة مميَّزة (را: **مجموعة قوانين الكنائس الشرقيّة**، ق 28 .).

صحيحٌ أنّ الكنائس الشرقيّة الكاثوليكيّة لا تزال تنمو بحسب منظورٍ مختلف، مرتبطٍ بالوضع الاجتماعي–السياسيّ الراهن للبلد الموجودة فيه، وبأهميّتها العدديّة وحيويّة مؤمنيها في بلدان الاغتراب. ولكنّ الكنائس ذات الحقّ الخاصّ والنيابة الرسوليّة اللاتينيّة هي، في الوقت عينه، في لبنان، كنيسةٌ واحدة، وهي جزء من الكنيسة الكاثوليكيّة الواحدة عينها حول خليفة بطرس، في شركة حياة ومصير تجمع بينها منذ أمد بعيد، بالنسبة إلى البعض منها، في هذه

المنطقة من الشرق وفي هذا البلد، لبنان. وهي تواجه المقتضيات الوطنيّة عينها والمخاطر عينها، وينعشها الرجاءُ عينُه، وتقوم بنوع خاص بالرسالة عينها التي أوكلها إيّاها السيّد المسيح.

إنّ طريقة عيش التراث الكنسيّ بما فيها من تنوّع، لا ينظر إليها دائمًا كعنصر إيجابي. ولربّما أثار هذا التنوّع مشاعر حذر بين الكنائس المحليّة، إلى حدّ أنّه صار حاجزًا حقيقيًّا على طريق التفاهم والتعاون. وهكذا أفضى تداخل صلاحيات الولاية في بعض الأحيان إلى تنازعٍ واقعيّ في السلطات (را: سينودس الأساقفة: الجمعيّة الخاصّة من أجل لبنان، **الخطوط العريضة**، رقم 37.) شلَّ العملَ الرعائيَّ المشترَك، وأدّى إلى شهادةٍ معاكسة. ولا يمكن تجاوز مثلِ هذه المصاعب إلاّ بالإيمان وبفضل الاحترام المتبادل والصادق.

إنّ الكنائس البطريركيّة ترغب اليوم في تجاوز كلِّ قِصَر نظرٍ، لتنفتحَ على تعاونٍ أقوى في ما بينها، أمانةً لقول الربّ: "بهذا يعرف الجميع أنّكم تلاميذي، إن كنتم تحبّون بعضكم بعضًا" (يو 35:13).

فلا عَجَبَ إذًا أن تكون الجمعيّة الخاصّة قد عدّتْ من الأولويات، بالنسبة إلى تجديد الكنيسة الكاثوليكية في لبنان، النداءَ التالي: "لنثُبْ، ولنحيَ وحدةَ الكنيسة" (المرجع السابق، **النداء**، عنوان الفصل الأول.). ولقد شدّد النداء على أنّ ما يجب تعزيزه، أكثر من تعزيز أيّ تنظيمٍ جديدٍ، إنّما هو **ذهنيّة جديدة** لا بدّ لها من أن تتّسم بها كلّ كنيسة بطريركيّة، "فلا يكون الاهتمامُ الدائمُ تأكيدَ الفوارق، بل يكون الاهتمامُ الدائمُ تأكيدَ الوحدة مع احترام التنوّع" (**المرجع نفسه**، رقم 15 :37 p ,(1996) DC 93).

ومثلُ هذا الالتزام يقتضي منا إقرارًا، ومشاعر ندامة وصرخةَ رجاء: الإقرارَ بفقدان روح الشركة في الكنيسة؛ والندامةَ الصادقة على أنّنا أحزنّا الروح القدس (را: أف 30:4)، خميرَ الوحدة الإلهي؛ وصرخةَ رجاء في المسيح الذي مات وقام، وهو الآن حيٌّ معنا وبيننا ومن أجلنا. إنّ أعضاء مختلف الكنائس المحلّية مدعوّون، بالتزامهم الصريح في هذا الاتجاه، إلى التجدّد الباطني، ليفتحوا نفوسهم على أبعاد محبة المسيح، في منافسةٍ مقدّسة مع إخوتهم من سائر التقاليد الروحيّة.

الكنيسة الكاثوليكية في لبنان على أثر الأحداث الأخيرة

لقد عانت الكنيسة الكاثوليكيّة في لبنان كثيرًا من انقسام أبنائها، وبخاصة في سنوات الحرب الأخيرة، بل أدّى هذا الانقسامُ إلى تمزيقها من الداخل. سنة 1993، كتب الذين أعدّوا **الخطوط العريضة**: "إنّ كنيسة لبنان [...]، على غرار سائر مكوّنات البلد، قد جُرحت في صميم جسدها. ولكنّها امتُحنت بنوعٍ خاصّ امتحانًا ذريعًا في ضميرها. فشاهدت بعضَ أبنائها يُقتَلون ويَقتُلون ويتقاتلون. وهي لا تزال تعاني من نزاعاتهم المتوّقدة أبدًا. وما يؤلمها الألمَ الشديدَ إنّما هي الهوّةُ العميقةُ التي حفرتها هذه السنوات المضطَّربة بين عددٍ من مؤمنيها وبين هؤلاء والسلطة الكنسيّة" (سينودس الأساقفة: الجمعيّة الخاصّة من أجل لبنان، **الخطوط العريضة**، رقم 4.).

ومنذ ذلك الحين، ترتسم دلائلُ تقاربٍ بين أعضاء الكنائس ذات الحقّ الخاصّ، سواءٌ في الأفكار أم في البُنى. وفي الواقع، فإنّ سينودسَ الأساقفة في كلّ كنيسةٍ بطريركيّةٍ (را: **مجموعة قوانين الكنائس الشرقيّة**، ق 102–113). مدعوٌّ إلى معالجة مسائل الساعة وإلى السهر على وحدة البطريركيّة، مع الاهتمام بوحدةٍ أكثر فأكثر متانة مع سائر البطريركيّات (را: سينودس الأساقفة: الجمعيّة الخاصّة من أجل لبنان، **الخطوط العريضة**، رقم 37).

بالإضافة إلى ذلك، تشعر الكنائس الشرقيّة الكاثوليكيّة في لبنان أكثر من أيّ يومٍ مضى بأنها متعلّقة ببنيتها البطريركيّة، التي يرئس البطريرك بموجبها سينودسَ أساقفة بطريركيّته. وتسهم مناقشاتها في إظهار سرّ الكنيسة الشركة (را: مجلس بطاركة الشرق الكاثوليك، الرسالة الراعويّة الرابعة **سرّ الكنيسة** (ميلاد 1996)، رقم 17–22)، سواءٌ داخلَ كلّ بطريركيّة أم في علاقة كلّ بطريركيّة بسائر الكنائس البطريركيّة في البلد وضمن الكنيسة الجامعة.

ويتمُّ تعاونٌ أوثق بين أعضاء الكنيسة البطريركيّة الواحدة: البطريرك، والأساقفة، والكهنة، والشمامسة الإنجيليّين، والرهبان، والراهبات، والعلمانيّين. ويُبدي المؤمنون العلمانيّون بنوعٍ خاصّ استعدادً سخيًّا، وهم جاهزون لتلبية نداءات السلطة الكنسيّة، وما تطلبه من مشاركةٍ داخلَ مختلفِ المجالس الأبرشيّة أو الرعويّة، وفي إدارة الأوقاف، وفي غير ذلك من الخدمات الكنسيّة. وفي ما يتعلّق بالإكليروس، فإنّ إرادة التنسيق والتعاون يجب أن تتجلّى في إطار البنى الكثيرة، من مثل الاجتماعات بين الكهنة، واجتماعات الكهنة مع العلمانيّين، بحسب القطاعات الجغرافية أو بحسب محاور الاهتمام، لغايات رعائيّة أو روحيّة. مثل هذه الإرادة تسندها نعمة الروح القدس الذي يؤازر كنيسته ويسندها. وهي جديرة بأن تنال كلّ تشجيع؛ فهي نداء إلى الحوار وإلى أساليب سليمة وفاعلة في العمل المشترك؛ وتقتضي أيضًا أن يكون للجميع معرفةٌ جيّدة بطبيعة الكنيسة الحقيقيّة وبمعنى الخدمة المسيحيّة الحقيقيّ. وكما كتبتُ في الإرشاد عن الحياة المكرَّسة، إنّ العقيدةَ التي تنظر إلى الكنيسة على أنّها شركةٌ تتيح "أن نفهم، بمزيدٍ من الوضوح، أنّ العناصر المختلفة التي تكوّنها بوسعها، بل عليها، أن توحّد قواها في روحٍ من التعاون وتبادل المواهب، للمشاركة في الرسالة الكنسيّة. وفي هذا ما يساعد في إبداء صورةٍ عن الكنيسة أصحَّ وأكمل" (الإرشاد الرسولي السينودسي **الحياة المكرّسة**، رقم 54 : AAS 88 (1996), pp. 426-427).

ثمّ إنّ الكنائس الشرقيّة الكاثوليكيّة في لبنان قد أنشأت في ما بينها بنىً للتشاور والتنسيق والتعاون. **والنموذج** في هذا المجال هو "مجلس البطاركة والأساقفة الكاثوليك في لبنان" (المجمع الفاتيكاني الثاني، **قرار في مهمّة الأساقفة الراعويّة**، رقم 36–38؛ **مجموعة قوانين الكنائس الشرقيّة**، ق 322). فهذا المجلس يلتئمُ بانتظام لينشّطَ التفكيرَ ويقودَ العمل المشترَك تبعًا للمقتضيات الرعائيّة. وقد أعاد تنظيمَه، وفاقًا لتمنّيات الجمعيّة السينودسيّة، في سبيل فعاليّةٍ رعائيّةٍ أكبر، فعمل على إشراك الكهنة والعلمانيّين إشراكًا أفعلَ في العمل المشترَك وفي القرارات الكنسيّة. وإنَّ الخبرة التي عاشها الذين شاركوا في الجمعيّة السينودسيّة أظهرت إلى أيّ حدّ يُدركُ الرعاةُ والمؤمنون الكاثوليك ذواتهم كنيسةً ويريدون ذواتهم كذلك، وإلى أيّ مدىً يتقبّل بعضهم بعضًا، ويقدّر بعضهم بعضًا في تنوّعهم. وسيبقى زمنُ النعمة هذا ينبوع عزمٍ لا ينضب، أكان ذلك اندفاعًا لتوطيد وحدتهم أم إنعاشًا لميّزاتهم بمزيدٍ من الأصالة.

مع الكنائس والجماعات الكنسيّة الأخرى في لبنان

في ختام الجمعيّة الخاصّة، بعد أن أعلن الآباء أنّ الوحدةَ داخل الكنيسة الكاثوليكيّة غيرُ كافية، أبدوا تصميمَهم على السير في "الحوار مع سائر الكنائس المسيحيّة، تجاوبًا مع إرادة الربّ، التي أعرب عنها في صلاته إلى الآب: "أيها الآب القدّوس، احفظ باسمك الذين أعطيتهم لي، ليكونوا واحدًا مثلما نحن واحد. [...] ليكونوا كاملين في الوحدة، حتى يؤمنَ العالم أنَّك أنتَ أرسلتني!" (يو 17،11:21") (سينودس الأساقفة: الجمعيّة الخاصّة من أجل لبنان، **النداء**، رقم 18 : DC 93 (1996), p. 37)

إنّ التزام آباء السينودس هذا يعكسُ وعيًا لخطورة انقسام المسيحيّين. ويعبّر أيضًا عن الألم الذي يشعرون به شعورًا ملموسًا إزاء مثل عدم الوفاء هذا لمشيئة الربّ. وفي الواقع فإن انقسام المسيحيّين غالبًا ما يُباعد بين أشخاص يعيشون كلّ يوم جنبًا إلى جنب في المحبّة المتبادَلة، وفي الإيمان الواحد بالمسيح وبالمعموديّة. وأمّا الأرثوذكس والكاثوليك فلهم مفاهيم مماثلة في نقاطٍ جوهريّةٍ في ما يتعلّقُ بالكنيسة والأسرار. وكثيرٌ من المسيحيّين المتّحدين برباط الزواج يتألّمون، هم وأولادهم، لما يتجاذبُهم من عقائد مختلفة تتعلّق بالكنيسة وواجباتهم تجاهها. والانقسام بين المسيحيّين لا يخلو من عواقب مؤلمةٍ أحيانًا في الحياة الاجتماعيّة، وهو يكوّن شهادة معاكسة في نظر كثيرٍ من مواطنيهم.

لا ريب في أنّ هذا الوضع يشكّل في حدّ ذاته عثارًا، بالنَّظر إلى طبيعة الكنيسة غير المنقسمة، وبالنَّظر إلى رسالتها في العالم، إلاّ أنّه قد يصيرُ في أيّامنا مناسبةً للنعمة وحافزًا يدفع المسيحيّين إلى أن يعملوا بكلّ ما أوتوا من قناعة وقوّة، من أجل الشركة الكنسيّة، ويقوموا بمبادرات مسامحةٍ متبادلة. وفي الواقع، يعي الكاثوليك والأرثوذكس من جديد التقاليد الكنسيّة والاجتماعيّة العريقة التي تجمعُ بينهم، وأخوّتهم في المسيح، وإن اتّسمَ عيشُهم معًا في الماضي في بعض الأحيان بطابَعٍ عاصف. ومع ذلك، فقد "تبيّن بجلاء أنّ الأسلوب الواجبَ اتّباعُه لبلوغ ملء الشركة هو حوارُ الحقيقة يغذّيه ويسندُه حوار المحبّة" (يوحنا بولس الثاني، الرسالة العامّة **ليكونوا واحدًا**، رقم 60: AAS 87 (1995), pp. 957-958). ويجب القيام بهذه المسيرة بفطنةٍ بالغةٍ وموقفٍ إيمانيّ، وبقيادة الروح القدس (را: **المرجع السابق**، رقم 80: المرجع نفسه، ص 969). والجماعات الكنسيّة المتفرّعة عن حركة الإصلاح، وإن كانت حديثةَ العهد في لبنان، فهي أيضًا بكامل رضاها معنيّة بحركة التقارب هذه. فجميع مسيحيّي البلد يرغبون رغبة شديدة في أن تتحقّقَ وحدتُهم الكاملة. فمعهم وبالشركة مع جميع إخوتنا في الإيمان، في العالم أجمع، نعي أنّنا مدعوّون إلى مضاعفة الحرارة في الصلاة، لتتحقّقَ تلك الأمنية، العزيزةُ جدًّا على قلب الربّ. وإنَّ الآباء، منذ اللحظة الأولى للمسيرة السينودسيّة، قد بذلوا جهودهم ليشاركَ، في بلدهم، على الأقلّ في الصلاة، جميعُ المؤمنين بالمسيح، كلمةِ الله المتجسد، في تجديد الكنيسة (را: يوحنا بولس الثاني، إعلان الدعوة الى جمعية خاصّة لسينودس الأساقفة من أجل لبنان (الجلسة العامّة، 1991/6/2): DC 88 (1991), p. 714).

العلاقات مع مؤمني الديانات التوحيديّة ولاسيّما المسلمين

تحرص الكنيسة على تعزيز الوحدة والمحبّة بين الناس وبين الشعوب. فإنّه "من العبث أن نبتهل إلى الله، أبي الناس جميعًا، إن نحن أغفلنا التصرُّف الأخويَّ تُجاه بعض الناس المخلوقين على صورة الله" (المجمع الفاتيكاني الثاني، **بيان في علاقات الكنيسة بالأديان غير المسيحيّة**، رقم 5) فإنّنا كلّنا معًا نكوّن الأمّةَ البشريّةَ الواحدة نفسَها، التي أسكنها الله "على وجه الأرض كلّها" (أع 26:17؛ را: تك 1:26–30)؛ ويريد الربّ أن يقود الناس "إلى معرفة الحق" (1 تي 4:2)، ويحقّق ما في نفوسهم من عطش إلى السعادة الأبديّة (را: مز 63 [62]: 2).

وتنظر الكنيسة الكاثوليكيّة باهتمام إلى سعي البشر الروحي، ومع تأكيدها أنّ الحقيقة الكاملة كامنةٌ في المسيح، وأنّه هو بدء ونهاية التاريخ الذي يصل فيه إلى ملئه، فهي تعترف طوعًا بجانب الحقيقة الكامن في مسيرة الأشخاص والشعوب الدينيّة. ويعرف الإنسان، من جهة أخرى، بعقله، ما هو خير، وهو مُلزَم، بدافع من صوت ضميره، بتحقيقه وبتجنّب الشر. "إنّ ممارسة الحياة الخلقية تشهد لكرامة الشخص" (**التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكيّة**، رقم 1706). وتُولي الكنيسةُ الاحترام البالغ أولئك الذين يجتهدون، كلّ يوم، في أن يحيوا في الاستقامة، وفاقًا للقيم الروحيّة والأدبيّة والاجتماعيّة–الثقافيّة الأساسيّة، وهم يَقْدُرون حياتَهم الأدبيّة الخاصّة. وهناك عددٌ من القيم الإنسانيّة

والروحيّة الراهنة تجمعُ بين الإسلام والمسيحيّة. وقد أوجز أهمَّها المجمعُ الفاتيكانيّ الثاني، بقوله: "تنظر الكنيسة بتقدير إلى المسلمين الذين يعبدون الله الواحد، الحيَّ القيوم، الرحمن القدير، الذي خلق السماء والأرض، وكلَّم الناس. إنّهم يسعون بكل نفوسهم إلى التسليم بأحكام الله، وإن خفيت مقاصدُه، كما سلَّم لله ابراهيم الذي يفخر الدين الاسلامي بالانتساب اليه. وإنّهم، على كونهم لا يعترفون بيسوع إلهًا، يكرّمونه نبيًّا، ويكرّمون أمَّه العذراء مريم، مبتهلين إليها أحيانًا بإيمان. ثم إنّهم ينتظرون يوم الدين الذي يجازي فيه الله جميع الناس بعد ما يُبعثون أحياء. من أجل هذا يَقْدُرون الحياة الأدبيّة، ويعبدون الله خصوصًا بالصلاة والصدقة والصوم" (المجمع الفاتيكاني الثاني، **بيان في علاقات الكنيسة بالأديان غير المسيحيّة**، رقم 3).

لقد كانت العلاقات بين الكاثوليك والمسلمين في لبنان شاقّةً في مناسباتٍ مختلفة؛ وقد تكونُ اليوم أيضًا، في نظر بعض المواطنين اللبنانيّين، متّسمةً بالحذر بسبب ما حدث أحيانًا من سوء تفاهم غذَّته ذكرياتٌ مؤلمة. وهناك أحكامٌ راسبةٌ في عمق الذهنيّات تُسهمُ في استمرار انعدام الثقة المتبادل. وهناك ايضاً انبعاثُ أشكال متنوّعة من التطرُّف تبعث على القلق، ولا يمكن إلاّ أن يسيءَ إلى وحدة البلد، ويوقفَ الاندفاع الجديد الذي يجب إيلاؤه إياها، ويعيقَ العيش المشترك بين كلّ الفئات التي تكوّن مجتمعه.

من أجل الحوار البنّاء والاعتراف المتبادَل، وعلى الرغم من التباينات الهامّة بين الأديان، من الأهميّة بمكان أن يُصار، أوّلاً وقبل أيّ أمرٍ آخر، إلى تمييز ما يجمع اللبنانيّين في شعبٍ واحد، في أخوّةٍ واحدةٍ تتجلّى كلَّ يوم، ولاسيّما في العيش معًا. بالإضافة إلى ذلك، يعدّ المسيحيّون والمسلمون بعضُهم بعضًا شركاء في بناء البلد؛ فتتألّق أكثر فأكثر في الأذهان الرغبةُ في تعزيز التفاهم والتعاون في ما بينهم. وتنشأ في الواقع **هيئات** التقاء في سبيل مزيد من التعارف المتبادل العميق رغبةً في خدمة البلد معًا.

العلمنة والعالم المعاصر

إنّ انفتاح لبنان التقليديّ على كلّ الثقافات التي مرّت على أرضه يجعله في الوقت عينه منفتحًا على الأفكار التي تنتشر في العالم المعاصر. والكنيسة مدعوَّةٌ، بالطبع، إلى التنبّه لثقافات اليوم لتمييز الزرع الصالح من الزؤان. ومع ذلك، فمن الأهميّة بمكان ألا يستسلم البلد والمنطقة إلى ظاهرة العلمنة. يعتقد البعض أنّ هناك اليوم، "عودة للدينيّ"، يجب التنبّه لها، وممارسة تمييز متيقّظ تجاه المواقف الدينيّة. فإن كان القصدُ منها العودة إلى ينابيع الإيمان والرجاء الأولى، فهذا يمكن أن يكون فرصةً "لتبشيرٍ جديد" للشعب ومن خلاله (را: سينودس الأساقفة: الجمعيّة الخاصّة من أجل لبنان، **تقرير ما قبل المناقشة**، رقم 9: DC 28 p. ,(1996) 93؛ رقم 22؛ "وثيقة العمل"، رقم 22)، وإلاّ فالخطر يكمنُ في أن تبقى هذه الظاهرة أمرًا سطحيًّا وملتبسًا.

ومع ذلك، فإنّ نمطَ حياةٍ متساهلاً يُفسد الأخلاق تدريجيًّا، على ما يبدو، ولاسيّما عبر وسائل الاتصال الاجتماعي، وبوساطة أشخاص ابتعدوا منذ زمن طويل عن مرجعياتهم الثقافيّة، ممّا شوّه حسَّهم الأدبيّ والروحيّ. ومثل هذا التطوّر يبعث القلق في نفوس شخصيّات كثيرة، مسيحيّة وإسلاميّة.

لم نُشِرْ هنا الى هذه النواحي التي يتضمّنها الوضع الذي تجد الكنيسة نفسها فيه في لبنان إلاّ لدعوة المؤمنين إلى أن يعوا بجلاء أكثر أسُسَ إيمانهم ويفهموا أمام الله الرسالةَ التي تلقَّوها من الربّ. على الكاثوليك اللبنانيّين أن يميّزوا،

بالنظر إلى الأوضاع الواقعيّة التي يعيشون فيها، في ذواتهم وفي كنائسهم المحلّية، ما يجب الحفاظُ عليه وما يجب نزعُه (را: يو2:15). هذا هو معنى النداء الذي أطلقتُه منذ الدعوة إلى الجمعيّة الخاصّة: "لتُصغِ كنيسةُ لبنان بانتباه إلى "ما يقوله الروح للكنائس" (رؤ22:3)، ولتُمحَّصْ باهتمام علاماتِ الأزمنةِ لتُميّزَ مقاصدَ الله الحاليّة في العالم" (سينودس الأساقفة: الجمعيّة الخاصّة من أجل لبنان، **وثيقة العمل**، رقم 33؛ يوحنا بولس الثاني؛ الرسالة المتلفزة الى اللبنانيّين (11 تموز 1991) DC 88 (1991), p 772 ؛ رسالة الى البطاركة ورؤساء الأساقفة والأساقفة الكاثوليك في لبنان (1991/7/8): DC 88 (1991), p. 770-771) وفي ذاتها.

المسيحيّون في المجتمع المدنيّ

جليٌّ أنّ مسيحيّي لبنان، على غرار سائر مواطنيهم، يرجون أن ينعموا بالأوضاع الضروريّة لتفتّحهم الشخصي هم وأسرتهم، في احترام تقاليدهم الثقافيّة والروحيّة، ويتوقون بنوعٍ خاص إلى الطمأنينة والازدهار، وإلى اعتراف حقيقيٍّ بالحريّات الجوهريّة، تلك التي تصون الكرامة الإنسانيّة وتفسح في المجال لممارسة الإيمان؛ إنّهم يتوقون إلى احترامٍ صادقٍ لحقوقهم وحقوق الآخرين؛ وأخيرًا إلى عدالةٍ تكرّسُ مساواةَ الجميع أمام القانون، وتتيح لكلّ مواطن أن ينالَ قسطه من المسؤوليّة في الحياة الاجتماعيّة. وهم يعرفون جيّدًا أنَّ مثل هذا المشروع مرهونٌ إلى حدٍّ كبير بسنوات الحرب الماضية وبالحالة الخطيرة التي تسود في هذه المنطقة من الشرق الأوسط. إنّي أعي أهمّ المصاعب الحاليّة: الاحتلالَ المهدِّد في جنوب لبنان، وحالةَ البلد الاقتصاديّة، ووجودَ قواتٍ مسلّحةٍ غيرِ لبنانيّة على الأرض، واستمرارَ مشكلة المهجّرين من دون حلّ كامل، وكذلك خطرَ التطرُّف، والشعورَ الذي ينتابُ البعضَ بأنَّهم محرومون من حقوقهم. هذا كلّه يغذّي الأهواء، بالإضافة إلى الخوف من أن تكون قِيَمُ الديمقراطيّة والحضارة التي يمثّلها هذا البلد عرضةً للخطر. وبناء عليه تترصّد دومًا اللبنانيّين وبنوعٍ خاصّ الشبيبة (را: سينودس الأساقفة: الجمعيّة الخاصّة من أجل لبنان، **الخطوط العريضة**، رقم 4، ولا سيّما **وثيقة العمل**، رقم 19–20)، تجربةُ مغادرته. إنّي أعلمُ أنَّ تحقيقَ مستقبلٍ أكثرَ إشراقًا يفترضُ تضحياتٍ كثيرة، وتقشّفًا شخصيًّا ثابتًا يحمل كلّ واحد على أن يتطلَّبَ من نفسه حضورًا فاعلاً وشجاعًا ومثابرًا في شؤون المجتمع، قبل أن يتطلّب ذلك من غيره؛ ولكن يجب أيضًا الاعتماد على نعمة العليّ الذي يغيّر القلوب والإرادات، ويوجّهها شطر الخير. إن ما اختبره المؤمنون بالمسيح في الماضي وفي الحاضر، في أنفسهم وفي الآخرين، في ما حولهم وفي كلّ مكان، كافٍ لإقناعهم بما لقوى الشرّ من قدرة، أبدًا حاليّة، في وسعها أن تنشر على الدوام الظلمةَ في العقول والقسوةَ في المشاعر، وتكوّن تهديدًا للمستقبل.

ولكن الرجاء يبقى حيًّا فيهم، على الرغم من كلّ شيء. إنّهم لم يفقدوا ثقتَهم في ذواتهم ولا تعلّقهم ببلدهم وبتقليده الديمقراطيّ. إنّ مذاق العيش الذي يميّزهم، وهذه الأخوّة في ما بين الجميع التي تظهر بأجلى مظاهرها في الأوقات العصيبة التي عليهم اجتيازها مرارًا كثيرة، تُذكي باستمرار إرادتَهم في المساهمة الناشطة في بناء بلدهم على أساس القيم الإنسانيّة التي تكوّن ثروة تراثهم الوطنيّ.